

ظلي بقعة حبر

عائشة المؤدب

نصوص

واطئ هذا المساء

هَطَلَ الْمَسَاءُ

وَهُوَ يَعْجُجُ مِنَ الْبَيْتِ الْمُقَفَّى

نَاشِئًا

إِيقَاعُ الْمَدِينَةِ مُفْرَعٌ فِي سُؤَالٍ

و الشَّارِعُ الْمُنْهَارُ تَبَاطَأَ أَمَامَ الْخُطَى

أَشْبَاحُ النَّهَارِ مُنْتَصِبَةٌ الظَّلَالِ

جَاءَتْ تُلْمَلِمُ مَا خَلَفَهُ الْمَطَرُ

عَاجِيَةٌ هِيَ الْأَحْلَامُ

و السَّاعَةُ لَمْ تَرْقُصْ بَعْدُ

لَوْنُ الْمَسَافَاتِ قُزْحِي الْجِرَاحِ

و الْقَاطِرَةُ تَفِرُّ جَاهِدَةً نَحْوَ الْعُدُولِ

وَاطِيٌّ هَذَا الْمَسَاءُ

مُنزَلِقٌ عَلَى الرَّصِيفِ

لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِ ضَمُّ السَّمَاءِ

يَعْتَمِرُ عُقْمَ السَّهْرِ

يَسْفَحُ طِينَهُ الْمُهْتَرَى

الرَّصِيفُ جَنَّةٌ لِلْحَفَاةِ

لَا لَيْلَ لِي ...

و الْمَكَانُ هَاجِسٌ مُفْتَعَلٌ

تَرْهَلُ السُّؤَالُ عَلَى الْجِدَارِ

حَتَّى تَدَلِّي مَشْنُوقَ الْاِحْتِمَالِ

وَاطِئٌ هَذَا الْمَسَاءُ

مُحْتَجِزٌ عَلَى بَوَابَةِ اللَّيْلِ

و عَلَى جَبِينِهِ جُثَّةٌ سَمَاءٍ

فانطازما اللقاء

ما زلنا هناك
يعلّم الفقد على أبوابنا بدم كذب
تدوّننا المسافة
ويمطر الوقت

مازلنا هناك

كان المساء الحاضر دائما يحاصر سرّه المفصوح في
أوجاعنا
حتّى أنّنا كنّا نحبّ أن نحضر معا بروفات الصّباح

بينما تعدّ العصافير سنفونيّة صاحبة الطيران
 نرقب السماء وهي تغيرّ فساتينها
 ونسعد لعربها المشرق فينا عشقا إثر عشق
 كنا نحب أن تشغل الشمس مقاعدنا الخالية على الشرفة
 الشرقية

بينما يلحّ المؤذن في دمنا لنقضي الفوائت

تدوّخنا المسافة

ويمطر الوقت

على قاب شهقتين أو أدنى

كان اللقاء يمارس فانطازماته على احتضار المسافة الباردة

و الصّباح يعثر كبريائه مرتبكا

تهذّل الشوق فوق الخطى

تدافعت على الأحداق اشتعالات الكلام :

سأهديك وردتي قبل الصّباح

سأهطل فيك

سنصنع خبزنا من حفاء الطريق
ونقتات من زيتون ليلنا المالح

ورحنا نسَمِّي الشوارع بأسمائنا
نعِدُّ الرصيف ليرشف رعشة تستبدّ كشهوة النوافل
كان على الصدر حبر ثقيل
فرحنا ندوّن الدهشة في عيون العابرين
ونخطف شهقة طفل باغته الفرح
كان في البال لون تفسّخ الليل فيه
فجئنا إلى النعمة الناشزة نطيّرها
تلوّن رعشتها ديب الرغبة الماردة فينا
ونفرش السماء لحنا تشبث بنا... بعد الرحيل

يدوّخنا الوقت وهو يباغتنا على ضفاف الشرفة الشرقية
 حيث مازالت تستلقي الشمس باردة على جسد الطريق
 لم تكن فنتازيا الألم المزمّن أجمل أوجاعنا
 إنّما كنّا نلتذّ بساديّة اللقاء وهو يفتّخ الفرحة الهارب
 ويغرس في الوقت خنجرا

تمطر المسافة هطلاً
 يمزّق ارتجافات الكلام

تركنا المكان ولكن بقينا هناك
 على حفنة من رفات الزمن
 نسير معا
 نعزّي موعدا كان لنا عند احتضار الخطى
 نعدّ من غبار الآتي ضريحا
 نشيّع شهوتنا الطفلة ونصنع من شرود النظرات الكفن

نموت سوياً وتحيي المسافات ما بيننا

تدوّخنا المسافة

وتحفّر الرغبة عميقاً... عميقاً تضاريس الفراغ

يحفر الوقت عميقاً... عميقاً تضاريس الغياب

تنهش الأورام ساعات النهار

والليل يوقظها

ما زلنا هناك

مازلنا نردّد المكان وتلهث خلفنا الذاكرة

طائرة ورقية

بين رائحة القلق وشعاع لامبالاة عنيدة كانت " ذات
 الخواطر البرية" تنام كلّ ليلة على بساط من حلم
 تكتب في حلمها سؤالاً يبدأ دائماً بطائرة ورقية
 تستلقي على طفولتها الشاسعة ترشق السماء بألوان
 فضفاضة ثم تشطبها برحابة ردائها المعشوشب

تعودت أن ترافق الشمس إلى مخدعها تسوي تناثر
 الأشعة على جبينها

ثم تعود على متن المساء المرتجف يتلقّف الطريق إيقاع
 خطواتها وتبتسم حجارة البيت راقصة عودتها لتكنس بثوبها
 الواسع عراء المكان

تعودت أن تقفز على خواطرها البرية وهي تستعيد، بوابل
من طيور ثرثارة، فكرة أدهشت براءتها فانطلقت كالريح
تبعثر لعبها وردية الظلال

البارحة كان الحلم أكبر من طفولتها حتى أنها لم تجد
فيها متسعاً لسؤالها الذي يبدأ دائماً بطائرة ورقية، لم
تقدر ، وهي تغالب هلع المقام، أن تعدّ النجوم الجديدة
الصاهلة نحو القمر الحالك ، لم تقدر أن تقتفي شهابها
كانت تحصيها وهي تدخل الليل والباب الموصد خلفها لا
يترك ممراً للفراشة

البارحة كان الألم أصغر من طفولتها والليل المباغت
يخلع عنها جسدها البالي يعطرّ به دمها المتبخّر

رأيناها جميعا ، تلبس فستانا على مقاسها تماما وتضحك
وهي تذكر أشياءها لكنّها على غير عاداتها بلّلت ضحكتها
بشهقة واخزة رشقتها في الأرض ثمّ ابتلعها الفراغ...

كأعشاب طفيليّة خرج الصباح متعثرا بسبابتها المنتصبة
على السقف الممدّد
واستمّرت تقاسيم الهواء تلوك رائحة دمها المكور في
حلق الوقت
زاد صوت الشجر المشهد موتا لَمّا تشبّثت أوراقه بلون
عينها المندلّق على فتات صمود الجدران تسدّ مسامّ
الطريق